سطوة الأمكنة الهامشية في رواية طيش الإحتمالات لزهرة الظاهري

المدرس الدكتور سهل بهاء الدين إبراهيم
قسم اللغة العربية ، كلية التربية – عقره ، جامعة دهوك
sahil.ibrahim@uod.ac
المدرس جعفر أحمد عبدالله
المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى
jafar1234ahmed@yahoo.com

The power of marginal places in Zahra Al Dhahiri's novel The Recklessness of Possibilities

Dr. Sahl Bahaa' Al - Deen Ibraheem
Department of Arabic Language , College of Education - Aqrah , University of Dohuk
Teacher : JAAFAR AHMED ABDULLAH
Directorate of Education Nineveh Governorate

الملخّص :

المكان يحتوي الشيء ويقبله، وهو عنصرٍ أساسي من عناصر السرد، ولقد هيمنت الأمكنة الهامشية بشكل ملفت في رواية طيش الاحتمالات. اذ تعددت ضمن خطاطة سردية. وجاء غالبية الامكنة بمسمياتها في الرواية الا ما ندر.

انقسم البحث على مهاد نظري كشف عن أهمية المكان في الرواية على وجه الخصوص، ومحورين اثنين: تناول المحور الاول الأمكنة الهامشية انفصالها واتصالها، والمحور الثاني: أنواع الامكنة الهامشية (المظلم- القصي- المشوه-العتبة...) وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصلنا اليها.

الكلمات المفتاحية : زهرة ظاهري ، طيش الإحتمالات ، سطوة الأمكنة ، الهامشي ، عناصر السرد .

Abstract:

The Venue involves the object and accept it. It is an important element in narration. Marginal venues were dominating notably in the novel of 'rashness of probabilities'. They were varied in a narrative manner. Almost all venues came by their names. The research falls into a theoretical preface in which the importance of venue in the novel in particular was explored, and two sections: the first dealt with marginal venues and their connections and/or disconnections. The second section dealt with types of marginal venues (oppression, remoteness, disfigured, threshold, …) . The research ended up with the most important conclusions arrived at.

Key words : Zahra Al Dhahiri's , the indiscretion of possibilities , the power of places , the marginal , the elements of narration .

المقدمة

لعل المقاصد الرئيسة من كتابة البحث تأتّتْ من سطوة الأمكنة الهامشية في رواية (طيش الإحتمالات) للروائية التونسية زهرة ظاهري، فالثيمة الأساسية التي تعالجها الرواية المرأة وما يقع عليها من جور وظلم سواء من الأسرة او المجتمع.

وتظهر مشكلة البحث بانه لا توجد دراسة عن المكان الهامشي في رواية (طيش الإحتمالات)، لذلك تتبعنا مصطلح الهامش وطبّقناه على الرواية بعد استقصاء للأمكنة في الرواية، وقد إعتمد البحث على المنهج البنيوي للوصول الى الحقائق فالعناصر الداخلية أدرجت في منظومات واضحة عبر الكشف عن العلاقات المُتشابكة بين عناصر الرواية وتحليل تلك العلاقات والبحث عن الحقيقة المخفية وراء الظاهر.

أما أهم الدراسات السابقة عن الرواية :

- رواية طيش الإحتمالات إشكالية تحقق الحب في مجتمع مهزوم، سماح عادل، كتابات، موقع على الانترنيت، ٢١-١-٢٠٢١.
- رواية طيش الإحتمالات الكتابة مرآة التحول الاجتماعي، يوسف عبدالعاطي، الشروق، موقع على الانترنيت، ٢٣-٥-٢٠٢١.
- قراءة نقدية في رواية طيش الإحتمالات لزهرة ظاهري، منوبية الغضباني، الثقافية التونسية، مجلة الكترونية على شكبة الانترنيت، ٢٣-١-٢٠٢٢.

مهاد نظري :

لعل من أغنى الدراسات عن المكان، جماليات المكان لـ(غاستون باشلار) اذ قال عنها: " فهذه الدراسة تستحق ان تسمى هوس المسح الشامل، انها تبحث في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الأمساك به، والذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، أي المكان الذي نحب... ان المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن ان يبقى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر، ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيّز"[1]. وجاءت دراسة (ميشال بوتور) عن رأي عميق وواسع في المكان حين وصف ذلك: " نحن اليوم لا نعيش أبدا في مكان واحد، فالمكان الذي نقيم فيه معقد، وهذا يعني اننا عندما نكون في مكان ما نفكر دائما بما يجري في مكان آخر، وتصل الينا معلومات عن الخارج، فإذا أدرنا مفتاح المذياع

وجدنا أنفسنا أمام مذيع تفصلنا عنه مئات أو آلاف الأمتار، أنا في بيتي، ولكن بيتي هذا ليس مغلقا، فهو متصل بغيره بواسطة المذياع والهاتف والصحف، والكتب والاعمال الفنية"[٢].

ومن المنظرين للرواية جان ريكاردو في كتابه قضايا الرواية الحديثة، فقد اعتنى بالمكان وتوصيف تفاصيله وأهميته[٣]، كما اعتنى به أي. إم. فورستر في كتابه أركان القصة، وأفرد له صاحب (نظرية الأدب) مساحة مهمة[٤].

والمكان عنصر فاعل وأرضية تتحدد من خلالها معالم أية قضية يطرحها النص، ويجرّد المكان في العمل الأدبي من خصائص موضوعية إلى خصائص فنية بحتة متلازماً وعنصر الزمان[٥]. انه " مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة ... الخ) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية مثل الاتصال، المسافة ... الخ"[٦] والتجانس هو الإرتباط بين الظواهر والوظائف والاشكال المتغيرة لتشكيل علاقات مكانية.

والمكان من ناحية أخرى هو " الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه ... كياناً نتلمّسه ونراهُ أو كياناً مبنياً في المخيلة"[٧]، إما أن نتلمّسه بصورته الحقيقية (الواقعية) أو يصنعُه الكاتب في محور خياله وهو " ليس مكانا متخيلاً بالمرة وانما ينتمي الى الواقع"[٨]، فمن الصعب أن يتجاوز المبدع وجود المكان بوصفه عنصراً مؤثراً في بناء احداث العمل الادبي مع ارتباطه الوثيق بعناصر السرد (زمان و شخصيات...) أما المكان الروائي فهو " قائم على العلاقات اللغوية داخل النص الروائي، والتشكيل البصري للأيقون المكاني في مخيلة القارئ"[٩]، وهذا ما يشير الى فاعلية القارئ في تجسيده للمكان الذي يبقى مرهوناً ما بين علاماته اللغوية واعتمال مخيلة القارئ، وهو " المكان اللفظي المتخيّل؛ أي المكان الذي صنعتهُ اللغة انصياعاً لأغراض التخييل الروائي وحاجاته، وهذا يعني أن أدبية المكان، أو شعريتُه مرتبطة بإمكانات اللغة على التعبير عن المشاعر والتصورات المكانية، مفضية الى جعل المكان تشكيلاً يجمعُ مظاهر المحسوسات والملموسات، ومكوناً من مكونات الرواية يؤثر فيها ويتأثر بها"[١٠] أي أن اللغة هي مفتاح المكان الروائي المتخيل من خلال عرضه في الرواية، وبواسطة اللغة ندرك المظاهر المحسوسة والملموسة بوصفها المكون الأول في الرواية.

ان المكان الروائي عامة يتخذ طابعاً خاصاً من خلال طرائق تشكيله وكيفية تقديمه للقارئ ليتسنى له ترتيب عناصره الفنية، إذ إن المكان يعكس بالضرورة بواسطة الوعي أو اللاوعي–رؤية الكاتب للمكان بعد ان تشغله الأشياء وتحلُ فيه بل وتتجسد فيه أبعادها اذ يشكل شاخصاً مهماً في تشكيل العمل الإبداعي، من خلال إكتساب هذه الاماكن للحركة ، فيتحول من مكان قار ساكن الى متحرك يمتلك رؤية تحقق له وجوداً آخر، ويبقى تابعاً لهذه الصيغة التبادلية، كلما حلّت فيه الأشياء.

وهناك من يرى " إن الانتقال من المكان المعيش الى المكان الفني، هو تحول من عالم الحياة اليومية بحسيته واشيائه وظواهره المتنوعة والمختلفة إلى عوالم فعالة من التخييل عبر لغات مختلفة: علامات لغوية، ألوان، اصوات، صور، ...، من عالم نحيا ونعيش فيه بهدوء ودعة ، حيث الخبرة المباشرة (الحدسية) بالاشياء الى الوعي الجمالي بهذه الاشياء ودورها ودلالاتها ووظائفها، وبكلمة أكثر دقة: نكون إزاء صورة أخرى للعالم / المكان المعيش"[١١]، فالتغيير الذي يطرأ على المكان من مكان واقعي الى فني (متخيل) هو تحول كبير من عوالم ساكنة الى عوالم فعالة متخيلة (متحركة) بعد الثبات، وبتعبير أدق تظهر صورة أخرى للعالم غير الصورة الأولى. لذا " يعد المكان الروائي مستوى من مستويات المكان الفني، يتشكل باللغة وفي فضاء اللغة، فلا كينونة للمكان الروائي بعيداً عن علامات اللغة، إذ إن المكان كائن صامت يلج اللغة بفراغه واشيائه ليتحدث من خلالها ... إن اللغة هي مأوى المكان في النص الروائي على عكس الأمكنة في الاجناس الفنية الأخرى: المسرح، الموسيقا، الفن التشكيلي، السينما...، وبذلك يتمتع المكان بأهمية استراتيجية وسيميائية في تشكيل الخطاب السردي Narrative Discours عبر تحايُثه (تداخله) مع المكونات السردية الأخرى"[١٢].

وبمجرد لجوء الروائي" إلى وصف المكان أو الفضاء الروائي فانه يرمي من وراء ذلك إلى بث المصداقية فيما يروي، بجعل المكان في الرواية مماثلا في مظهره الخارجي للحقيقة نابعا من مرجعيته الواقعية"[١٣]. نستشف مما تقدم أن المكان يحتوي الظواهر والاشكال ويقبلها عن طريق التجانس والتفاعل معها، وهو كيان إما أن نتلمسه حقيقة أو يولد في فكر المبدع ، فالمكان الروائي هو " العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها ببعض من شخصيات واحداث وسرد وحوار، أي أنه الإطار العام والوعاء الكبير الذي

يشد أجزاء العمل كافة"[١٤]، وهو عنصر فاعل وعمود فقري يربط أجزاء الرواية مع بعضها البعض في نسيج عضوي، قائم على العلاقات اللغوية داخل النص الادبي وان كان مكاناً لفظياً متخيلاً ويعد مركزاً مهماً من خلال حضوره وتفاعله مع مكونات السرد (الحدث – الشخصيات – الزمن) وهو مستوى من مستويات المكان الفني.

أولا : المكان الهامشي :

هو المكان العارض، أي المكان الطارئ الذي لا يؤثر حضوره أو غيابه في العمل الأدبي تأثيرا بالغا في منظومة السرد الرباعية، والهامشي "حدٌ مشتق من الكلمة الانكليزية Margin ومعناها الاعم هو حافّة، حاشية، حدّ، تَخْم"[١٥]، وسوف نوظف المكان بناءً على هذا التعريف من خلال المكان في حاشية الرواية، والمكان الهامشي حد من حدود الرواية "ويُستخدم تعبير Subaltern الذي يعني (التابع) أو (المرؤوس) في اللغة للدلالة على نفس المعنى، ويوظف جاك دريدا كلمة Supplement أي الملحق أو المرفق، للدلالة على معنى مشابه"[١٦] وبالإمكان اطلاق المكان التابع أو المرؤوس على المكان الهامشي أو المكان الملحق أو المكان المرفق.

ونلاحظ أن الأمكنة الهامشية تأتي لتدل على الواقع بحقيقته وبذلك تضفي هذه الأمكنة جمالية ظاهرة وبارزة لتؤثث المشهد السردي فهي محور بنائي هام لا يقل شأنا عن بقية انواع الأمكنة. وتعتني الأمكنة الهامشية بالحدث اذ لها دينامية فعالية عبر تجانسها مع الحدث بسبب دلالتها للإشارة الى واقعة معينة أو استذكار حدث ما بواسطة المكان الهامشي الذي يتفاعل مع الأمكنة والازمنة والشخصيات. إنه مكان منفرد لا يتشابه مع بقية الأمكنة مهمل ومنعزل وهذه خصوصيته التي تفرده وتميزه.

وتنفصل الأمكنة الهامشية عن الأمكنة بوصفها محددة للشخصية والحدث عبر نسيج الرواية. اذ تحتط لها خطاطة مائزة مع الاخذ بقربها أو بعدها عبر انطلوجيتها وبذلك تتحرر من قيود الأمكنة مشكّلة هيكليتها المتفردة فضلا عن مشاركتها مع بقية الأمكنة، وهذا ما جعل النقاد يلتفتون اليها ويفردون لها مساحة لا بأس بها لتواشجها وتفاعلها في بؤر معينة لتكتسب غرائبيتها. و " لا يعني المفهوم الكلاسيكي للهامشي إستبعاداً من المجموعة بقدر ما يعني وجوده على الحدود بين مجموعتين. ونتيجة لذلك ، يحمل الهامش طابعًا ثقافيًا ليس نفسيًا بحتًا ، .... بسبب عدم الإندماج في المجموعة. إنها

بالأحرى هامشية تمارس. هذا الصراع من قبل الهامش في حد ذاته على أنه انتماء إلى عدة مجموعات " .[١٧] ومعنى الاستبعاد التفرد ونقطة الحد بين شيئين لتمثيل الاشياء وتحديد وجودها وطابعها.

ثانياً : أنواع الأمكنة الهامشية في (رواية طيش) الإحتمالات للكاتبة التونسية زهرة ظاهري

١. المكان المظلم :

((كل يود التخلص من المكان الذي لم يعد يروق لأحد . انتحى لنفسه مكانا قصيا بعيدا عن الضوضاء ، أشعل السيجارة الوحيدة التي لديه .. رمى بعلبة السجائر أرضا كمن يرمي بحطام العمر بعد أن اعتصرها بين يديه في حركة عصبية تنم عن مدى تشنجه .. كمن يضع الأغلال حول عنقه ذات ليل يلف ما تبقى من الرجاء .. كان يتهادى كطفل علموه أنه وحده المشي على الجمر يهديه إلى الطريق . جريح دخان سيجارته يتصاعد من أنفه ومن بين شفتيه شبه المضمومتين ... سحائب الدخان ترتسم في الفضاء سابحة تلف العتمة .. تتابع عيناه التقلص المتباطئ لعقب السيجارة بين إصبعيه ثم إلى الدخان المتصاعد يشكل هالة غامضة من حوله وعقله الشارد خلف الشراب لا يدري إن كان يدخن الوقت أم يدخن أحزانه.)) [١٨].

يظهر السارد في هذا المقطع من الرواية تأثير المكان (المظلم) على الشخصية اذ يود التخلص من المكان الذي لم يعد يروق لأحد؛ فالشخصية اختارت المكان الهامشي المظلم البعيد عن الصخب والضوضاء، بسبب معناته من الضغوط النفسية فهو يدخن السيجارة التي في يده وينفث دخانها بحرقة متمنيا لو أن همومه تتصاعد مثل الدخان، والحالة هذه أدخلته في حالة سكر فأصبح لا يدري هل يدخن أحزانه أم يدخن في الوقت الرهيب الذي يمر به ، و الشخصية اختارت زمن الليل لما فيه من هدوء وراحة وسكون؛ لأن الليل بظلامه على الشخصية كأنه عامل نفس مطمئن للبوح بالأسرار دون خوف أو وجل، لذلك إرتبط المكان مع الشخصية إرتباطاً نسيجياً.

٢. المكان القصي :

((واصل تسكعه ، قادته قدماه إلى حانة باريس ، هناك التقى بهم أولئك الذين منحوا لأنفسهم بعض الوقت ليعيشوا لحظة تيه بمنأى عن عجلة الحياة الدائرة على عجل

، أولئك الذين يجد فيهم صدى جنونه . انتحى لنفسه مكانا قصيا وراح يتابع المشهد عن كثب .. غصت الحناجر بالضحكات الصاخبة وهم يتبادلون الملح والنكات الماجنة وكأنهم يخوضون رحلة مرحة بعيدا عن ملابسات الواقع وفي غفلة من الزمن))[١٩].

تأتلف الشخصية مع المكان القصي (حانة باريس) البعيد عن ضجيج الحياة في تزاحم افكارها وضوضاءها ومتطلباتها الكثيرة التي لا تنتهي ليلتقي في هذا المكان مع من يشابه في الإخفاق وخيبات الأمل ويبوح عن افكاره بعيدا عن المدينة بواقعيتها المفرطة ليحتسي كأسا من خمر محلقا عاليا تاركا همومه وأحزانه التي كان يظنها كبيرة ليراها من الأعلى صغيرة ولا تستحق هذا القدر من التهويل، في عالم متخيل يؤثثه من صنع أفكاره إلى حد الانتشاء، داخل اجواء سادحة سادها ضحك وقهقهة فالذين في الحانة يعيشون حياتهم في مكان هامشي بعيد عن المدينة مما يتوازى مع بُعد أفكارهم عن الواقع. وجاء الهامشي على حد المدينة وخارج تخومها كما أبان المشهد السردي السابق، فثمة ترابط للمكان مع الشخصية الثانوية في الرواية.

٣. المكان المشوّه

((كل شيء تغير في هذا المكان ، الساحة الحزينة فقدت الكثير من جمالها ، غزاها الخراب والفوضى كما تغزو هالة من التجاعيد وجه عجوز توحي ملامحها بأنها كانت يوما ما فاتنة تلك الأوساخ المكدسة في كل مكان وكان الناس ناقمون على المكان أو ربما على انفسهم فهم يرون الأمكنة بكل ما اتوا من فضلات والنفايات الشوارع القذرة أصبحت لا تروق الا للناموس والذباب والقطط السائبة.))[٢٠].

اضاف السارد الى روايته مكاناً هامشياً آخر وهو المكان المشوّه لدلالته على التغيير، فجاء المكان (ساحة برشلونة) في المدينة مكاناً هامشياً مشوهاً بعد ان كان مكاناً جميلاً،

والتشويه دلالة على التغيير من حالة الى أخرى، وهو نقد للمجتمع وإظهار كل ما فيه من دون تزويق يذكر؛ فالشخصية شعرت بحالة من الإغتراب بعد أن وجدت بأن المكان تغير وفقد جماله و عنفوانه بسرعة مثل سرعة غزو الخطوط والهالات في وجه المرأة الجميلة لتبدو عجوزا تتذكر أيام شبابها أمام مرآتها، ان الساردة كانت ينظر بنفس تلك المرآة وتستعيد الذكريات وكيف كان المكان يضج بالحياة ليصبح الآن مجرد تجمع للنفايات.

٤. المكان العتبة :

((ألا تدلني على مكتبة قريبة من هنا ؟ أريد أن أقتني كتابا . التفت إلى مصدر الصوت .. كانت سيدة عجوزا أجنبية تنطق اللغة العربية بصعوبة .. أسعده حضورها المختلف .. ابتسم لها ورافقها إلى حيث تريد . مكتبة الكتاب .. كانت على قدر من الاتساع ، تؤثث رفوفها أصناف كثيرة من الكتب .. ولأننا أمة لا تقرأ فقد بدا المكان خاليا إلا من بعض الوافدين . للكتب رائحة خاصة تدغدغ أنفاسه فيشعر بالخشوع .. خطر بباله للحظة لو أنه يسجد على عتبة هذا ا المكان))[٢١].

يدور الحوار في هذا المشهد السردي من الرواية بين شخصيتين، احدى هذه الشخصيات هي المرأة العجوز التي جاءت تسأل عن المكتبة (بوصفها مكانا) ثم السارد وهو يصف تفاصيل المكان المكتبة: (كانت على قدرٍ من الإتساع، رفوفها اصناف كثيره من المكتب) وعلى الرغم من ذكر تفاصيل المكان الا ان السارد عاد وذكر بعد ذلك عتبة المكان لأهمية العتبة باعتبارها نصا موازيا للنص الأصلي ولا يمكن الاستغناء عنه حينما عبر عن ذلك بقوله: (خطر بباله للحظة لو انه يجد على عتبة هذا المكان). فالعتبة أو عتبة المكان هي الجزء الأول منه بمثابة المدخل من كل شيء: (البيت- الشارع- المدينة- الحديقة...). ونلحظ إرتباط المكان مع تقانة الوصف بشكل واضح.

٥. المكان السري:

((هي لم تخبرها بأمر انتقالها من النزل الى شقة كائنة بأطراف المدينة كان زاهر من دبر لكل هذه الامور و هو من اقتنى الشقة و اختار المكان الذي أصبح المكان السري لعقد اجتماعاته المريبة مع مجموعة من رجل الأعمال الملتحين و بالغ في تغيير مظهره فالرجل الذي كان لا يحتمل أثر الزغب بوجهه أصبح ذا لحية كثة و طبع له دينار على جبينه ، علياء أيضا تغيرت أحوالها لم تعد مولعة بالتنانير القصيرة و سراويل الدجير الضيقة ، بل أصبح لباسها فضفاضاً و شعرها لم يعد منساباً على كتفيه العاريين بعد أن قرر زاهر أن تلبس الحجاب.))[٢٢].

يذكر السارد مكاناً هامشيا أخر وهو المكان السري (الشقة) التي اتخذته الشخصية لنفسها مكاناً خفيا بعيداً عن الأنظار، والمكان السري هو المكان الخاص المرتبط مع بقية الأمكنة في المشهد وهو مكان غير معلن يخص شخصية أو أكثر ويكون بؤرة التقائهم،

وكما هو معلوم فإن الإنسان يتخذ لنفسه مكاناً سرياً عندما يجد نفسه يتبنى أفكاراً أو ينوي القيام بأفعال تتعارض مع السائد في مكان وزمان محددين سواء أكانت هذه الأفكار مشروع خير أم شر، ففي مكانه السري قد يضع الدعائم ويقوى الركائز لإنكار قد يعتبرها غيره محرمة فيخفيها عن عيون المتسللين ليقدمها بعد ذلك الى العلن كما فعل السارد عندما اختار الشقة مكاناً سرياً فقد كانوا يؤسسون الى فكر وتنظيم ديني متطرف بينهم.

٦. المكان الساحر:

((فكر في الاتصال بها ليعلمها بوصوله إلى البيت الشاطئي غير أن بطارية هاتفه كانت تعاني من قلة الشحن .. بدا كأنه مستاءٌ ولكن لم يترك للإستياء أن ينال منه ويفسد عليه بهجة الإحتفاء بهذه اللحظة الاستثنائية .. كان قد أحس بارتجاف لذيذ يسطو على أنحاء جسده وتلذذ هذا الإرتجاف ، إنه الامتلاء بشيء مختلف له مذاق خارج جاذبية ما تعود عليه ، شرع يفتح الأبواب ويشرع النوافذ ، كان البحار العجوز الذي أودعه المفتاح قد أخبره بأنه لا أحد دلف إلى البيت منذ زمن وبالتالي ليس عليه أن يستغرب إذا ما وجد الغبار قد احتل أركانها .. غير أن المكان كان نظيفا ، هادئا ، مرتبا بشكل أنيق .. اتكأ على حافة النافذة المطلة على البحر وأرسل بصره يخترق الأفق البعيد ، لم يصدق إلى الآن أنه في بيت المرأة التي أسرت روحه وأنه على موعد معها وأن هذا المكان الساحر سيشهد أول لقاء بينهما .. كان موزعاً بين اللهفة عليها وبين الخوف من أن لا تأتي لأي طارئ يطرأ فجأة .. تمشى في أنحاء البيت ووجد نفسه فجأة في الخارج ، دفع بخطاه تجتاز الممر المرصف بالحصباء ثم ألقى قدميه تغوص في الرمل .. مشى مندفعاً الآن نحو البحر .. نزع حذاءه ودخل الماء فانتابه شعور غامض .. شعور بالتحرر والتدفق))[٢٣].

يأتي ذكر المكان الهامشي الساحر البحر في المشهد السردي ليجمع بين حبيبين اثنين، فالشخصية تذهب الى المكان الذي يمتاز بجمال سحره وهدوئه فهو مكان يتيح لها التأمل في مياه البحر المتلاطمة على الساحل والاستمتاع الى اصوات الامواج وذلك بالانفصال عن البيئة المحيطة المليئة بالفوضى اذا تشعر الشخصية في المكان بالرفاهية والتخلص من المشكلات النفسية و ضغوطات الحياة، فالبحر بتناغم امواجه التي شكلتْ سمفونية تأسر

من يقف أمامها وتأخذ لعالمها الساحر بهانفه وتهدأ روحه وتباها بألوانه المتدرجة في زرقتها فتشرد فيها العيون وتبحر معها الهموم عبر مظهر البحر الاخاذ ومياهه العميقة المتلألئة تحت شمس النهار ألا أن هذا المكان سحر الشخصية ومجيء الشخصية اليه ليلتقي بحبيبته التي يراها لأن جمالها لا يقل عن جمال وسحر هذا المكان فاجتمع جمال المكان مع جمال البحر في آن واحد. إشتغلت تقانة الوصف في إبراز سحر المكان بؤرة التقاء الحبيبين فيه.

٧. المكان المعبد :

((كانت رائحة الأرض ندية .. ملأ رئتيه بالهواء البحري الممتزج بما تبقى من رائحة مطر البارحة ، وصل أعلى الربوة ، جلس على صخرة تطل على الجهتين .. جهة البحر وجهة الطريق النازلة في التواء حيث بيوت عديدة تناثرت هنا وهناك ، ارتاح لجمال المكان بل وارتاع لذوق مريم ، لجمال اختيارها لهذا المكان الذي يشبه معبدا للتجلي .. كانت هناك زوارق بعيدة في عمق اليم وكان هناك في الجهة الأخرى فلاحون وفلاحات يعملون في حقول العنب المجاورة التي انتشرت بشكل مكثف . فكر كم أن مريم ذكية في جمالها ولا غرابة في ذلك فهي رسامة وتعرف مكامن الجمال ، فكر في بكائها بين ذراعيه البارحة ، فكر أيضا مصيرهما المعلق . فكر في اللحظة التي هو فيها .. ثم قام فجأة واقتطف جمعا من الأزهار البرية ، وحين دخل إلى البيت ألفى مريم مازالت في فراشها فسارع يعد الفطور لها ، أخذ الزبدة ذوبها في المقلاة وضع عليها قطعة التوست وهو يدندن بأغنية.))[٢٤].

ينتقل السارد من مكان الى آخر الى ان يصل المكان الهامشي المعبد وهذا المكان هو مكان ديني متخيل في فكر الشخصية، وتعد الأمكنة الدينية بصفة عامة من الأمثلة المهمة في أي عمل سردي لما تمتلكه من سحر المكان وعبق السكينة والإطمئنان فهي تشد الشخصية عبرها وتذهب بها الى عوالم خبيئة و تنتقل بالشخصية من الحياة المادية الى حياة تسكن فيها الروح وتصفو، عوالم روحانية و يشبه السارد المكان الربوة بالمعبد لسببين:

الأول: لما أمتاز هذا المكان بالهدوء والسكينة، فضلاً عن ذلك فهو يقع على مكان مرتفع وكما هو معلوم فإن المعابد يكون على مرتفع من الأرض، وربما أطلق السارد

صفة المعبد على الربوة لأنه من اختيار حبيبته فالشخصية تلتقي بها ولشدة تعلق قلب المحب بالمحبوب أطلق على هذا المكان بالمعبد وكأنه يتعبد فيه ويصل الى التجلي كما جاء.

الثاني: تطرّف المكان الربوة بعيداً عن الآخرين فقد وجدت الشخصية راحة وانسجاماً لتفيض في المكان الربوة وتهنأ بوجود الحبيبة.

٨. المكان البائس:

((كانت الصدمة عنيفة على أهل القرية فرفض الجميع رفضاً قاطعاً أن يقاسموهم المكان ودارت الحرب بينهم غير أن الغلبة كانت للغرباء وقد خولت لهم نفوسهم أن يعينوا كبيرهم سيداً عليهم وأن يتحول أهل البيت إلى خدم وعبيد وعلى كل من تساوره نفسه بعدم الرضوخ أن يغادر الديار ، استاءت المرأة كثيرا لما يحصل في القرية الهادئة وراحت تحث العباد على هجرة المكان إلى حين يتسنى استردِاده بطريقة ما في العيش بلا كرامة ولا نخوة .. تلك المرأة التي لا أعرف كيف غاب عني اسمها تمكنت من إقناع فئة من الناس فتبعوها فيما رضي الآخرون بوضعهم مقتنعين أنه قدرهم وأن لا مهرب من النصيب . بدا على وجه الجدة تعب مفاجئ لكنها راحت تواصل سرد الحكاية والبنتان لا تزالان مشدودتين اليها ، إختار الجمع مكاناً غير بعيد عن القرية ليستطلعو أخبارها واختاروا مغارة كبيرة على سفح جبل يلوذون بها من الأصقاع والحيوانات البرية .. تلك المرأة كانت تقوم على خدمتهم ورعايتهم حتى عشقها الجميع وطلبها كثيرون للزواج وكادت تتسبب في حدوث الفتنة بينهم غير أنها اقترحت عليهم أن تتزوج كبيرهم وقد كان مريضا وكانت تحب أن يكون تحت رعايتها فوافقوا بشرط أنه إذا مات لا بد أن تقام القرعة فيما بينهم لأن الجميع فتية موفورون الصحة . مات الشيخ بعد أن أنجبت منه تلك المرأة توأماً وديعاً أضفى على المكان البائس روحاً وجمالاً فتقدم البقية مطالبين بالزواج منها)).[٢٥]

يعد المكان البائس مكاناً لا ترغب الشخصيات في العيش به؛ فأصبحت لا تشعر بالطمأنينة ولا الألفة بل شعرت بالكراهية تجاه هذا المكان، وذلك بعد ما دارت الحرب بينهم وبين مجموعة من أناس غرباء وكانت الغلبة في هذه الحرب للغرباء فسيطروا على المكان سيطرة تامة (وقد تشاوروا ان يعين كبيرهم سيدا عليهم و ان يتحول اهل البيت الى خدم وعبيد وعلى من تساوره نفسه بعدم الرضوخ ان يغار الديار) فأصبح المكان

بالنسبة للشخصيات مكان بائسا لم ((يستطيع ان يأتلف مع اهله و مواطنيه، ولا تربطهم رابطة دم او رابطة انتماء، وحين يحل بينهم فإنما يحل حلولا قربا مفروضا عليه و يعامل فيه معامله ازدراء))[٢٦]. فهذا المكان البائس اصبح مكانا يوحي بالخوف والترقب والموت، فاذا لم تاتلف الشخصية مع المكان أو العكس سيغدو المكان بائسا مما انعكس على بقية الشخصيات المقيمة فيه. لقد تميز المكان يترابطه مع الأمكنة فضلاً عن تصوير المجتمع تصويراً دقيقاً.

٩. المكان الملعون :

((ها هي مريم تصل بالسيارة الكلوي ، الزرقاء وتركتها بهدوء ، تنزل منها بهدوء . وتتجه بخطى هادئة نحو البيت البحري غابت عن ناظريه غير أنها استولت على كل تفكيره ،، غادر السيارة ودفع بخطاه نحو البيت الذي غابت فيه مريم منذ قليل ، غير أنه وبعد أن خطا خطوات توقف ثم تراجع إلى اليمين ، وهو يفكر .. ما الذي سيفعله الآن ؟ هل يقبض عليها بالجرم المشهود ويتحول الأمر إلى قضية ومحاكمة ويصبح فريسة لأعدائه الذين يتربصون به ؟ الأكيد في هذه الحال سوف يخسر موقعه في الحزب وهو الذي يتهيأ للدخول إلى الإنتخابات ويطمح إلى مركز سياسي مهم، وماذا سيكون موقف ابنتيه منه فيما بعد وموقف المجتمع منهما ، سوف يشير إليهما الناس بأنهما ابتنا التي أمسك بها زوجها في حضن عشيق عل زمنا على هذه الحال ، وأخيراً امتطى سيارته وغادر المكان الملعون)).[٢٧]

جاء المكان الهامشي في نهاية المشهد السردي بعد أن هيمنت الشخصية هيمنة واضحة بواسطة السارد العليم ، والمكان الملعون هو المكان الذي فيه لعنة أو عوالم فنتازية تقوم بمضايقة من يكون فيه. الا ان المكان الملعون أصبح لعنة في نظر الشخصية بسبب قلقها وترقبها وهاجس الخوف من بناته ضمن تساؤلات اجتمعت في فكرها وعقلها من دون ان يطلع السارد على خصوصيات الشخصية. وبذلك الهدف من ذلك إلقاء الضوء على الظروف والأحوال الإجتماعية والفكرية والنفسية السائدة بين الشخصيات في المكان وتزويد القارئ بمجموعة من الحقائق المختلفة التي يمر بها الانسان المعاصر وتعرية الواقع المعيش للمستويات الاجتماعية والثقافية لشخصيات الرواية، ويعتبر لجوء السارد الى تنويع الأمكنة زيادة في عجائبية الأماكن فضلاً عن ذلك تعد

الأمكنة بنية فنية جمالية للنص الروائي، فالمكان الملعون هو ما كان مرفوضاً وضيقاً؛ لأنه يقترن بإشاعة القيم غير المريحة كالشعور بالإغتراب النفسي والرعب واليأس والضياع والخوف؛ لأن المكان الملعون يفرض سلطته العدائية على نمط حياة الشخصيات وشكل وجوده وبذلك يطلق عليه البعض المكان المعادي.. كما نجد ترابط الراوي مع المكان وهو يسرد عن واقع محدد ليظهر للقارئ ما حصل في تلك الفترة الزمنية.

١٠. المكان الحلم:

((وقفا عاريين من وشايات الأماكن كتمثالين نحتا من ضياء النجوم .. تمثال ينبض في السمع أناشيد بحر ، ينتشلها من غيبوبتها ، يطير بها في سماء العاشقين ، يجلسها على بساط من مرمر ، يشعل الشموع في المكان ويوشحه بعطر المسك والعنبر .. كل العطور صارت نثار همسات ، لمسات وشعف خيال يحلق ، يهديها فراشا من حرير وبين حيرتين يذيقها شهداً ويهديها طقوساً من العشق زمن الأساطير ، يغوص بها في بحر يربك الصمت فتلقي بمرساتها وتتضوع وجدا . وقبل أن يهدهد الفجر سواد الليل يقرر الرحيل تاركا في عينيها أهازيج حب وحنين تعاتب الصمت وتهفو لسعادة من يقين. صمت ينادم دمعاً ، حيرة يسكنها حرف يتيم))[٢٨]. تعيش الشخصية مفكرة في المكان (الحلم) الذي تتمنى لو كان مكاناً واقعياً إلا أنه مكان خيالي تؤثثه بوجودها لتحلق بأفكارها وخيالها داخله؛ فهي تطلق العنان لخيالها كي تسرح في تفاصيله وما فيه من عطر وشموع، المكان غير الواقعي مكان خيالي جميل محصن وهو وملاذ الشخصية من قسوة النهار الطويل، فهذه الشخصية ترى بأن عالم الواقع لا يكفي وحده لحياة البشر؛ لأنه أضيق من أن يتسع لحياة إنسانية كاملة، ولأن القيود تعيش في أذهاننا فقط إلا إننا حينما نستعمل خيالنا فإن المكان يجتاز حدوده، فالشخصية عاشت في المكان الخيالي بافكارها وأحلامها، وعاشت نشوته لبرهة من الزمن إلا أنها وبعد أن مضي الزمن عادت أفكارها واصطدمت بمرارة الواقع (وقبل أن يهده الفجر ..... سعادة من يقين) لأنها مهما انتشتْ في عالم متخيل (مكان حلم) و أبحرت بأفكارها عبر ضياء القمر

لابد أن تنتهي الرحلة وتعود الى الواقع المر الذي كانت تقاسيه. كما هيمن السرد الوصفي ليكشف عن خصوصية المكان.

الخاتمة :

١. يعد المكان بؤرة للشخصية والحدث فهو الأرضية التي تؤسس لدينامية التفاعل السردي في الرواية، وهو الحاضن الرئيس للشخصيات
٢. يقترن الهامش بالمهمل او العارض، وهذا ما تبين عبر خطاطة الأمكنة اذ بدأت من نقطة محددة لتنتهي مع احداث الرواية على وفق استراتيجية ثابتة.
٣. جاء غالبية الأمكنة الهامشية بمسمياتها في الرواية في تساوق مع افكار الكاتبة، فالمسميات او ما يطلق على الأمكنة لا بد من قصدية في انتقاء تلك الأمكنة فهي لم تتأت اعتباطاً او من دون رسم لها ولحدودها وتفاصيلها وإنما إرتبطت ببعض المرجعيات.
٤. لم يأت المكان المشوّه كما جاء في الرواية بل أخرجت تقانة الوصف التشويه القسري للمكان عبر ما فيه من صورة بشعة أظهرت ذلك.
٥. امتاز المكان المعبد بالتحول من حالة الى أخرى، فهو يختلف عن باقي الأمكنة الهامشية، وهذا ما تفرّد به.

هوامش البحث

(١) جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ٣١.

(٢) بحوث في الرواية الجديدة، ٦١.

(٣) ينظر: قضايا الرواية الحديثة، ترجمة: صياح الجهيم، ١٤٤-١٥٣.

(٤) ينظر: أوستن وارين ورينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، ٢٨٨ وما بعدها.

(٥) ينظر: القصة العراقية القصيرة ١٩٦٧-١٩٨٠، عمار أحمد عبدالباقي، رسالة ماجستير، بإشراف د. صبري مسلم حمادي، جامعة الموصل، كلية الآداب ، ١٩٩٣، ٨٠.

(٦) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة، سيزا قاسم، جماليات المكان جماعة من الباحثين، ٦٩.

(٧) إشكالية المكان في النص الادبي، ياسين النصير، ٥.

(٨) البنية الحوارية في مسرحيات ناهض الرمضاني، قيس عمر محمد محمود، رسالة ماجستير، بإشراف د. عمار أحمد الصفار، جامعة الموصل، كلية الآداب ٢٠٠٩، ٦٨.

(٩) العلامة والرواية ، دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد ، لعبدالرحمن منيف، د. فيصل غازي النعيمي، ١١٢.

(١٠) الرواية العربية البناء والرؤيا ، مقاربة نقدية ، سمر روحي الفيصل، ٧٥.

(١١) شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين، ٧٥، ٧٦.

(١٢) المصر نفسه ، ٧٨.

(١٣) أهمية المكان في النص الروائي: آسيا البو علي، أكاديمية من سلطنة عمان، ٢ ، ٢٠٠٥/١٠/١١، بحث على شبكة الانترنت.

(١٤) المكان في رواية نزيف الحجر لابراهيم الكوني، عوني الفاعوري، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، م ٢٧، ع١، ٢٠٠٠، ٣٤.

(١٥) موسوعة لالاند الفلسفية، اندريه لالاند، المجلد الثاني H-Q تعريب خليل أحمد خليل، تعهده: أحمد عويدات، ٧٦٥.

(١٦) المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، ٥٢.

(١٧) معنى مصطلح هامشي، من هم الهامش وما يميزه مقال على شبكة الانترنيت، WWW.KERCHTT.RU

(١٨) طيش الإحتمالات :٥ .

(١٩) طيش الإحتمالات: ١٩.

(٢٠) طيش الإحتمالات : ١٧ – ١٨ .

(٢١) طيش الإحتمالات :١٩.

(٢٢) المصدر نفسه :٥٨.

(٢٣) طيش الإحتمالات :٦٧.

(٢٤) طيش الإحتمالات :٧٦.

(٢٥) طيش الإحتمالات :٨٧ – ٨٨.

(٢٦) الرواية العربية في البيئة المختلفة (رواية الأسر العراقية نموذجا) دراسة فنية، علي عزيز العبيدي، ٢٤٠.

(٢٧) طيش الإحتمالات :١٠٠ – ١٠١.

(٢٨) طيش الإحتمالات :٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولا – المصادر:

- طيش الإحتمالات، زهرة الظاهري، منشورات زخارف، ط١،تونس، ٢٠١٧.

ثانيا - المراجع :

- إشكالية المكان في النص الأدبي – دراسات نقدية، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١، العراق – بغداد، ١٩٨٦.
- بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة: فريد انطونيوس، منشورات عويدات، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٧١.
- جماليات المكان، جماعة من الباحثين، عيون المقالات باندونغ، ط٢ الدار البيضاء، ١٩٨٨.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٦، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦.
- الرواية العربية البناء والرؤيا – مقاربات نقدية، د. سمر روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
- الرواية العربية في البيئة المختلفة (رواية الأسر العراقية نموذجا) دراسة فنية، علي عزيز العبيدي، ط١، دار فضاءات، عمان، ٢٠٠٩.
- شعرية المكان في الرواية الجديدة – الخطاب الروائي لادوار الخراط نموذجا، خالد حسين حسين، كتاب الرياض يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٤٢١هـ.
- العلامة والرواية – دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، د. فيصل غازي النعيمي، دار المجدلاوي، ط١، عمان – الأردن، ٢٠١٠.
- قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، ترجمها وعلق عليها: صياح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧.

- المصطلحات الادبية الحديثة – دراسة ومعجم انجليزي – عربي، الدكتور محمد عناني، مكتبة لبنان ناشرون، طبع في دار نوبار للطباعة، ط١، القاهرة، ١٩٩٦.
- موسوعة لالاند الفلسفية، اندريه لالاند، منشورات عويدات، ط٢، بيروت-باريس، ٢٠٠١.
- نظرية الأدب، أوستن وارين، رينيه ويليك، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: الدكتور حسام الخطيب، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والفنون الاجتماعية، ط٣، ١٩٧٢.

ثالثا - الرسائل والأطاريح :

- البناء الفني في قصص محمود جنداري، عمار أحمد عبد الباقي، اطروحة دكتوراه، بإشراف: الأستاذ الدكتور صبري مسلم، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٧.
- البنية الحوارية في مسرحيات ناهض الرمضاني، قيس عمر محمد محمود، رسالة ماجستير، بإشراف: عمار أحمد الصفار، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٩.

رابعا – الدوريات :

- مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (٢٧)، العدد (١)، ٢٠٠٠.
- المكان في النص الروائي، آسيا البوعلي، أكاديمية من سلطنة عمان، ٢٠٠٥/١٠/١١.

خامسا - البحوث على شبكة الانترنيت :

- معنى مصطلح هامشي، من هم الهامش وما يميزهم، بوابة مقال لجميع المناسبات، بحث على شبكة الانترنيت، WWW.KERCHTT.RU